

## ضرورة تحويل العلم إلى معرفة؛ لماذا يصبح العلم خطيراً أحياناً؟

لماذا يُعدُّ تحويل العلم إلى معرفة أمراً بالغ الأهمية ؟

تحدثنا سابقاً عن مفهوم العلم والمعرفة، والفرق بين الدراية و الثروة، ومدى أهمية كل منهما. أوضحنا أن العلم هو مجرد معلومات وبيانات تمتلكها، بينما المعرفة تعني أن تتحول هذه المعلومات إلى قناعة وقوة وقدرة حقيقية. العلم هو مقدمة للمعرفة، والطريق بينهما لا يُقطع إلا بالعمل والتجربة المستمرة. في هذا الدرس، سنتعمق أكثر في أهمية وضرورة تحويل العلم إلى معرفة بشكل أكثر تفصيلاً.

ليس العلم مجرد حشو للرأس بالمعلومات، بل هو نور يضيء الطريق، وقوة تدفع إلى العمل. فما فائدة علم لا يغير من سلوكنا، ولا يحسن من حياتنا؟ على سبيل المثال، من الطبيعي أن نتوقع ممن أكمل دورة تدريبية في الحاسوب أن يصبح قادراً على استخدامه بكفاءة، أو أن يستطيع من درس اللغة الإنجليزية التحدث بها بطلاقة. الجميع يتوقع أن تتحول المعلومات التي تلقاها هؤلاء الأشخاص إلى مهارات عملية من خلال التدريب والتطبيق. العلم الحقيقي هو الذي يترجم إلى مهارات وقدرات عملية، ويمكننا من التحكم في حياتنا وتوجيهها نحو الأفضل. لكن، ماذا لو لم يحدث ذلك؟ ماذا لو اكتسب الشخص المعلومات لكنه لم يستطع توظيفها في حياته؟ في هذه الحالة، يصبح العلم الذي تعلمه بلا فائدة. تماماً مثل شخص قرأ عشرات كتب عن التحكم في الأفكار السلبية، وحضر العديد من الدورات حول هذا الموضوع، بل واستشار خبراء متخصصين، ومع ذلك ما زال يعاني من سيطرة الأفكار السلبية عليه! هذا يعني ببساطة أن علمه لم يتحول إلى معرفة ومملكة، ولم يمنحه القوة الفعلية التي يحتاجها. في هذه الحالة، كل ما فعله كان مجرد استهلاك للوقت والطاقة دون أي نتيجة حقيقية.

للأسف، هناك الكثير ممن يصابون بما يمكن تسميته “إدمان العلم”، حيث يسعون دائماً لاكتساب المزيد من المعلومات، لكن دون أن يطبقوا أي شيء منها في حياتهم. إنهم يكدسون العلوم في عقولهم، لكنها لا تتحول إلى مهارة أو قوة حقيقية أو ملكة تمكنهم من تحقيق نتائج ملموسة. إن الحاجة إلى تحويل العلم إلى معرفة وملكة قلبية تزداد أهمية في مجالات العلوم الإنسانية والروحية، لأنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بهدف وجودنا وسعادتنا في الحياة. فالمعرفة الحقيقية ليست مجرد تراكم معلومات، بل هي مفتاح تحقيق الطمأنينة والنجاح في الدنيا، وضمان السعادة الأبدية في الآخرة.

### تحويل العلم إلى المعرفة: مفتاح السعادة الأبدية

كما نعلم، فإن مفتاح الحياة الأبدية السعيدة يكمن في اكتساب المعرفة الحقيقية أو ما يُعرف بـ”القلب السليم”<sup>1</sup> خلال حياتنا الدنيا. بمعنى آخر، إذا لم يتحول العلم إلى معرفة حقيقية، فإنه يصبح سبباً للمعاناة والعذاب في الحياة الآخرة. تماماً كما أن هناك أنواعاً مختلفة من الولادة عند انتقالنا من رحم الأم إلى الدنيا، فإن هناك سنة أنواع من الولادة عند انتقالنا من الدنيا إلى الآخرة. الولادة السليمة أو الولادة القوية السليمة تعني أن الجنين قد أعدّ لنفسه في رحم أمه جميع الأعضاء والمعدات اللازمة لحياته في الدنيا، مما يجعله قادراً على التكيف مع بيئته الجديدة بسلاسة. أما في الولادات الأخرى، فإن الطفل الذي لم يكتمل تكوينه بشكل صحيح سيواجه صعوبات وعذاب عند دخوله إلى الحياة، بقدر ما يفتقر إليه من توافق مع متطلباتها. وقد يحتاج إلى علاج ومعاناة مؤقتة أو ربما عليه أن يتحمل مشقة دائمة.

كما أن الولادة السليمة في الدنيا تتطلب توفير جميع اللوازم والمعدات الضرورية، فإن الولادة السليمة في الآخرة تستلزم أيضاً إعداد الزاد المناسب للحياة هناك، والتكيف مع طبيعة الوجود في الجنة. فعدم امتلاك هذا الزاد يعني الوقوع في العذاب والجحيم، تماماً كحال المولود الذي يولد بعيوب خلقية، فيعاني من الألم والمشقة طوال حياته. وبالطبع، يتفاوت مقدار العذاب ومدته تبعاً لدرجة ونوع المخالفة، وقد يكون العذاب

<sup>1</sup> سورة الشعراء، الآية ٨٩

دائمًا في بعض الحالات. والزاد الضروري للآخرة هو المعرفة الحقيقية، أو ما يمكن تسميته بالكنوز الإنسانية، أي أسماء الله وصفاته التي اكتسبناها في الدنيا. فكلما ازداد رصيدنا من هذه الأسماء والصفات، اتسعت ثرواتنا الروحية في الآخرة. هنا تتجلى أهمية تحويل العلم إلى معرفة راسخة حقيقية، فمهما بلغ علمنا واتسعت معارفنا، فإنه لن ينفعنا ما لم يتحول إلى ملكة قلبية وكنز روحي. فمثلاً، إذا كنا نحمل في عقولنا معلومات غزيرة عن رحمة الله ولطفه، ولكننا في الواقع لا نرحم مخلوقاته، من بشر وحيوانات ونباتات وحتى جماد، فإن علمنا لم يتحول إلى معرفة حقيقية، ولم نستوعب اسم "الرحمن" في قلوبنا.

### جوهر السعادة الدنيوية: تحويل العلم إلى معرفة قلبية

إن الالتزام بتعاليم الدين والأخلاق، واكتساب الأسماء الإلهية والمعرفة، يثمر فينا صفات سامية، تجعلنا أفراداً مفعمين بالسعادة والسكينة والمحبة. فكلما ازداد نصيبنا من الأسماء الإلهية والمعرفة، ازدادت هذه الصفات رسوخاً فينا، حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيتنا، لا تهزها عواصف الدنيا.

تخيل أباً عائداً من عمل مرهق، يواجه صراخ طفله الصغير ومشاغبه. هذا الأب، إن كان قد رزق بالمعرفة والملكات القلبية، سيظل هادئاً صبوراً، وسيتعامل مع طفله بحنان ومودة، بدلاً من أن يستسلم لغضبه وإرهاقه. أو حين يمر الإنسان بمصيبة كفقْدان عزيز، فإنه لا يجزع ولا يفقد اتزانه ولا ينهار، بل يحتفظ بهدوئه وسكينته. وبالتالي، فإن تحويل العلم إلى معرفة يمنحنا قوة داخلية، يجعلنا قادرين على تجاوز مصاعب الحياة، والتعامل مع الآخرين بلطف ورحمة دون أن نفقد سعادتنا وسلامنا الداخلي. بعبارة أخرى، اكتساب المعرفة لا يُثمر فقط في الآخرة، بل يجعلنا أكثر قدرة على الاستمتاع بحياتنا الدنيا أيضاً.

كلما زادت ممتلكاتنا المعرفية، ازدادت قدرتنا على الصمود في وجه الأزمات. ولكن، دعونا لا نخفل حقيقة جليلة، وهي أن هذه الصعاب والمحن، وطريقة تعاملنا معها، هي من أهم روافد اكتساب الفضائل والكنوز الروحية. فكيف لنا أن نجسد الصبر في حياتنا إن لم نذق مرارة الابتلاء؟ وكيف لنا أن نتمرس على العفو والصفح والمغفرة إن لم يمسننا أذى من قريب أو بعيد؟

إن جوهر الحياة يكمن في تحويل كل ما يعترض طريقنا، من علاقات وخيارات وأفكار وسلوكيات، إلى روافد تزيد من رصيدنا الروحي، وتقربنا من سعادة أبدية. فلننظر إلى كل موقف على أنه فرصة لاكتساب فضيلة جديدة، ولنستثمر كل تجربة في بناء شخصية قوية ثابتة على طريق الحق.

### العلم بلا معرفة: وزر في الآخرة

إن العلم الذي لا يثمر معرفة وبصيرة، ولا يدفع إلى اكتساب أسماء إلهية، غالبًا ما يتحول إلى داء يفتك بالقلوب، فيورثها العجب والغرور. فالعلم الذي كان من المفترض أن يكون سبيلًا إلى السعادة الأبدية، يصبح وبالأعلى صاحبه، ومضاعفًا لعذابه في الآخرة، وذلك بسبب إهماله وعدم تطبيقه.

ولا ينبغي أن نخفل عن حقيقة مهمة، وهي أن اكتساب العلم ضرورة لا غنى عنها، وهو الخطوة الأولى في طريق الوصول إلى المعرفة. فالتقصير والتراخي في هذا المجال، يجر ويلات أكبر، إذ يعني ذلك أننا لم نخطُ حتى الخطوة الأولى نحو المعرفة الحقيقية.

في هذا الدرس تطرقنا إلى ضرورة تحويل العلم إلى معرفة قلبية راسخة. وأوضحنا أن هذا التحول ليس فقط شرطًا أساسيًا لتحقيق السعادة الأبدية، بل هو أيضًا مصدر السعادة والراحة الداخلية في هذه الدنيا. فالسير في طريق اكتساب المعرفة، والسعي للتشبه بمحبوبنا الأعلى - الله - يزين حياتنا الدنيا والآخرة على حد سواء.